خاتمة

في جنازة عبد الناصر ، خرجت الملايين تبكي تبكي فتاها ، تشق عليه كما قال يوسف إدريس(ذو العيون المصرية) جلبابها الوحيد الذي يستر عريها ...كان زن الناس صادقاً وعظيماً ، بقدر ما كانت الفجيعة هائلة ، وأشد ضراوة من أن تحتمل ..لقد كان عبد الناصر فرصة الملايين التاريخية ، وبين هؤلاء الذين كان عبد الناصر فرصتهم ، كنا نحن الجيل الذي واجهه .

إن مشاعر الجماهير لا يمكن تزييفها ..آراؤها تزيف..أصواتها الانتخابية حتى بعد الموت تزيف !! لكن المشاعر كالأفكار ، حكر على أصحابها في حصن من الأجساد حصين لا يمكن أن يطال ..وما لا يطال لا يمكن تزييفه ..

لقد بكي الناس جمال عبد الناصر بدموع صادقة ..حارقة ..كانت تسيل وما زالت من قلوب صادقة .. محروقة .

لقد قيل الكثير عمن بكوا جمال عبد الناصر ..ولا أظن إلا أن أكثر الكثير الذي قيل لم يمس الحقيقة !!

قالوا أننا شعوب عاطفية لا تحكم المنطق !!! وقالوا أننا متخلفون نبكي أبا مات ..لأننا غير ناضجين لم نفطم بعد على الفارق بين الأبوة وبين الزعامة (ورئاسة الجمهورية) ، وقيل أن الدعاية المهولة استطاعت أن تخدعنا وقيل وقيل وكل ما قيل لم يستطع أن يشرح صدق الدموع ..وتفجر المشاعر في لحظة لا تحتمل إلا البراءة .

في مثل هذه اللحظة تبكي الشعوب فرصتها التاريخية .

الذين تكلموا عن أننا شعوب عاطفية لا تحكم المنطق ..لا أظنهم بقوا على رأيهم بعد أن رأوا جنازة الرئيس السادات .

الذين قالوا أننا متخلفون نبكي أباً مات ..لا أراهم قد وضعوا في اعتبارهم أن هذا الشعب كان أباً لجمال عبد الناصر في لحظات لا يمكن إنكارها (العدوان الثلاثي ـ الانفصال ١٠،٩ يونيو ١٩٦٧) عندما رأي عبد الناصر أبنا تهزه الحوادث الفاجعات ..ولا أراهم أيضا وضعوا في اعتبارهم تلك المعارضة التي لاقاها عبد الناصر في حياته من اتجاهات مختلفة ، أكثرها كان يعارض من باب الحفاظ على الفرصة التاريخية حتى لا تفلت .

الذين يرددون أن الدعية المهولة استطاعت أن تخدعنا ..لا أخالهم يقدرون حجم الدعاية المضادة التي حملتها رياح يونيو ١٩٦٧ وما بعدها لهذا الشعب ..

مرة أخري نقول أن الشعوب تحب ..وتغفر ..وتبكي ..من أجل فرصتها التاريخية ..

لقد هزم عرابي ..هزيمة مروعة ، وبكي الشعب المصري عليه فرصته التاريخية الضائعة ..

ولقد مات سعد زغلول بعد أن أكد بنفسه أن تصريح فبراير ١٩٢٢ ليس إلا استقلالا صوريا ، وأن الديمقراطية وهم في ظل حراب الإنجليز ، وعطايا ولي النعم ، مات ولم يحقق ما خرج من أجله .. وبكت الجماهير المصرية عليه فرصتها التاريخية الضائعة .

ومات وسيموت الكثيرون ، ولم ولن تبكي عليهم الجماهير لأنهم لم ولن يكونوا فرصتها التاريخية ، الجماهير تبكي من يقول لها حسها المصلحي أنهم كانوا لها ..

الجماهير لا تبكي أباها .. تبكي فتاها ..

لقد كانت الجماهير أبا لأحمد عرابي ، وهو في التل الكبير ، كانت أبا له لأنه كان فتاها حتي وهو في التل الكبير !!! وكانت أبا لسعد زغلول وهو في المنفي ، وفي لحظات رأت أن قامته أقصر من حراب الإنجليز ، ومن برج ولي النعم الذي يتفيأ كأباته ظل الحراب الإنجليزية ، ذلك لأن سعد زغلول كان فتاها ، حتي وهو في المنفي ، وحتى وهي التي ترفعه لتطول قامته حراب العدو ، وفوقية لص النعم ..

ثم ألم تبكي الجماهير مصطفي النحاس فتاها في عهد فتاها جمال عبد الناصر لتثبت لكل ذي غرض ، ولكل قصير النظر أن فتي لها لا يلغي فتي عندها ..فالكل أبناؤها الفتيان .

بهذا المنطق بكي الطلاب الذين واجهوا جمال عبد الناصر ، لقد أرادوا برغم صغر سنهم أن يكونوا آباءه ، لكي يكون لمستقبلهم بكوة هم الذين لم يتوقفوا عن مواجهته ، كما أوضحنا بكوة عليه فرصتهم التاريخية التي واجهوه من أجلها ، إلي أن انبري لهم من لا طاقة لهم على مواجهته .. الموت !!!

إن حسابات الجماهير جدلية .. أكثر تعقيداً عما يبحث عنه الكتاب ، غربيين ومستغربين وغرباء ، من سبب ونتيجة .